

تدريس الأمازيغية والمقاربة التواصلية

بلقاسم الجطاري
أستاذ التعليم العالي
جامعة محمد الأول وجدة

تمهيد

يمكن تعريف الربع الأخير من هذا القرن بأنه زمن التواصل وتطوير أساليبه و محتوياته والمدى الذي يصله. فلأول مرة في تاريخ الإنسانية لم يعد هنا كحيز طبيعي أو إنساني لا يمكن الوصول إليه. و قد نتج عن هذه الوضعية نتائج إيجابية وأخرى سلبية، يمكن إجمالها فيما يلي:

- **النتائج الإيجابية:** نتجه تطورات الثورة التواصلية إلى تحقيق نوع من ديمقراطية المعرفة والأخبار بشكل لم يسبق له مثيل. فالمدرسة أو العالم الذي كان يختزن المعرفة في أوراقه أو في صدره لم يعد سيد المجال الدراسي. فطرق المعرفة صارت معبدة وفي متناول الجميع. والمقصود بالجميع وجود المعرفة في أشكال متعددة بتعدد المستوى الذي ينطلق منه الباحث عن هذه المعرفة.
- **أما النتائج السلبية** فتتجلى بالخصوص في أن لهذه الديمقراطية وجه آخر يتجلى في الإبادة التي تنتظر الكثير من اللغات والثقافات الإنسانية التي تظل خارج أساليب التداول التي تفرضها آليات الثورة التواصلية، ومن هذه الآليات: المدرسة.

1- مميزات الثقافة الأمازيغية

إن البحث عن الديدانكتيك المناسب يستلزم أولاً معرفة خصائص الثقافة واللغة التي نود دراستها. وهكذا فالديدانكتيك المناسب للغة اللاتينية ليس هو المناسب لضرورة اللغة اليابانية، وليس هو المناسب للغة الفرنسية وليس هو المناسب للغة الأمازيغية. وفي مقابل هذه الخصوصية نحا الديدانكتيك نحو نوع من التصنيف الذي لا يلغي هذه الخصوصيات ولكنه يستوعبها في إطار عام. وهكذا نتحدث اليوم عن دراسة اللغات الحية واللغات الأم واللغات الأجنبية واللغات الكلاسيكية. فأين تتموقع الأمازيغية ضمن هذه التصنيفات؟ الأمازيغية: لغة حية، يقصد بالحيوية المستوى التداولي بين الناس. أي إمكانية اللغة على تحقيق التواصل اليومي والحي بين متكلميها. وتتضمن الحيوية وجود اللغة ككائن حي يتطور مع الإنسان. فالناطق بالأمازيغية كما ينمو على المستوى العقلي والعاطفي والاجتماعي والجسدي ينمو على المستوى اللغوي وينتقل على المستوى القاموسي مثلاً من =

Pappa → aghrum

Mbuwwa → aman

وتستدعي الحيوية من الناحية الديدانكتيكية ما يعرف باسم Le bain linguistique. أي إمكانية الاعتماد على المجال التداولي قصد خلق تعليم اقتصادي وفعال وقابل للتصريف على المستوى التواصلية.

1-2- **الأمازيغية: لغة أم:** يقصد باللغة الأم أول لغة يلتقي بها الوليد عند مجيئه إلى الدنيا. وبلغة أبسط هي اللغة التي تخاطب بها الأم – على أساس أنها أول من يخاطب الوليد – مولودها. فهي اللغة المشبعة بالحنان والفرح وكل العواطف الإنسانية وكل الخبرات السابقة

للجماعة البشرية التي يلتحق بها الوليد. والأمازيغية هي كذلك بالنسبة لجميع المغاربة: الناطقون بها والناطقة فيهم.

1-3- الأمازيغية لغة وطنية: أي أنها تختزن ذاكرة الشعب والوطن الذي عاش فيه هذا الشعب. إن استئصالها يعني استئصال جزء قاعدي من مكونات الذاكرة المغربية التي شيدت عبر العصور.

1-4- الأمازيغية لغة موحدة: تمتاز الأمازيغية التلقائية بالتنوع الفونتيكي وبالتنوع المعجمي والوحدة القواعدية والتداولية والثقافية. وليس المعيار اللساني هو وحده الذي يحدد وحدة اللغة أو تفتيتها بل هناك أيضا المعيار السياسي.

إن هذه الخصائص تجعل من المقاربة التواصلية أحد الإمكانيات الديدانكتيكية التي تمكن دراسة اللغة الأمازيغية من الاستفادة من حيويتها وانغراسها في البنية السيكلوجية للتلميذ وفي البنية الثقافية للمغرب.

2- أصول المقاربة التواصلية:

تشكل ديدانكتيكية اللغات الحية أحد المجالات التطبيقية (والنظرية) التي تتفاعل فيها اللسانيات والبيداغوجية. ومن أهم المقاربات المتعلقة بديداكتيك اللغات الحية، هناك المقاربة التواصلية. وتتأسس هذه المقاربة على ما يلي:

- من البنيوية إلى البراكتمية: لقد ركزت اللسانيات البنيوية على البنيات اللغوية. وعزلت تبعا لذلك كل لغة في إطار خصوصياتها الخاصة بها. وإذا كانت البنيوية قد ركزت على نحوية الجمل فإن البراكتمية تنظر إلى النحوية من خلال المقبولية والقدرة على التواصل.

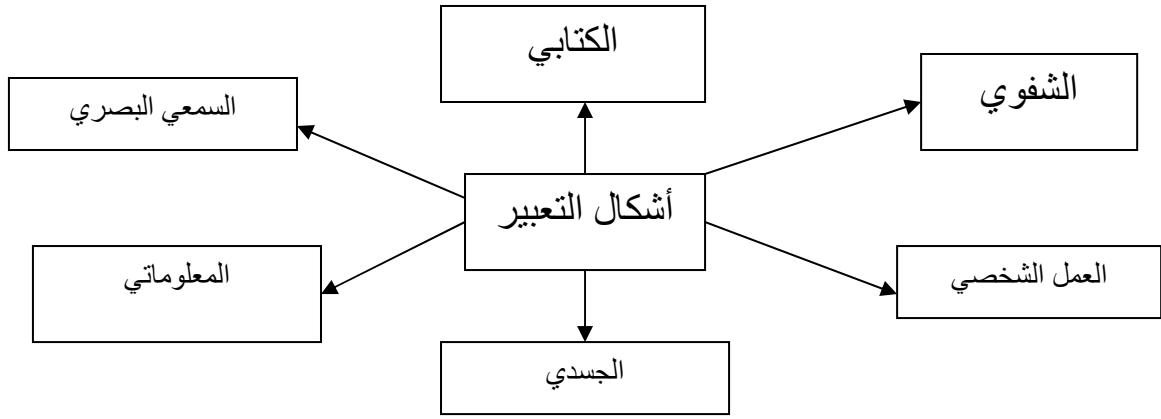
- من التعليم إلى التعلم: تتأسس ديدانكتيك اللغات على البيداغوجية الحديثة المتمركزة على نشاط التلميذ وفاعليته في العملية التعليمية والتعلمية. وهذا ما يشكل تجسيدا لأحد الحقوق الثابتة للأفراد وللجماعات والمتمثل في التمكن من الاستفادة من المكتسبات العلمية والمعرفية و الفنية، إن دراسة الأمازيغية يعني إعطاءها - على غرار جميع اللغات - فرصة التطور الطبيعي، وغني عن البيان أن تطور الأمازيغية كلغة ذي علاقة جدلية بتطور تفكير الناطقين بها.

3- الملامح العامة للمقاربة التواصلية:

إن تأسيس المسالك الأولية لتدريس الأمازيغية بالاعتماد على المقاربة التواصلية يمكن المتعلمين من اكتساب أو تدقيق اللغة من خلال حيويتها ومجموع العلاقات السوسيوثقافية التي تختزنها. وهذا يستدعي استكشاف الإمكانيات التواصلية في اللغة الأمازيغية من جهة، ومطواعة هذه الأخيرة في تنظيم نشاط التلميذ وإشراكه في عملية الاكتساب من جهة أخرى.

وبدءا يمكن القول بأن التواصل يتم عبر العديد من أشكال التعبير، وأهمها²

² - Maccio (Charles), Pratique de l'expression, Chronique sociale, Lyon, 1994.

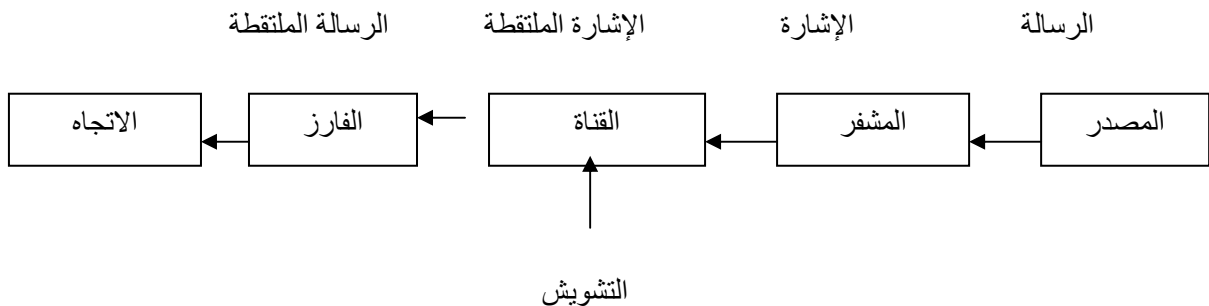


فهناك التعبير بواسطة اللغة الطبيعية الذي يتمظهر في التعبير الشفوي والكتابي، وهناك التعبير بواسطة الجسد كما يتجلى ذلك من خلال الرقص أو بعض الحركات المسرحية. أما التعبير المسمعي البصري فيشمل الموسيقى والفنون التشكيلية والسينما والتصوير الفوتوغرافي وما إلى ذلك. وهناك العمل الشخصي الذي يمكن إدماج العمل وباقي أشكال التعبير الأخرى كالرياضة واللباس وما إلى ذلك. وأخيرا التعبير المعلوماتي أو بواسطة اللغات الاصطناعية بشكل عام.

منذ المحاولات الأولى في تعريف التواصل تم التركيز على التبادلات. ذلك أن التواصل هو "الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور". وبعبارة أخرى فإن التواصل هو المسار الذي تنقل بواسطته الدلالات بين الأشخاص³. وقد ظلت هذه الأنواع من التعاريف في إثراء مستمر بواسطة مختلف العلوم الإنسانية والمعرفية.

وبتطور العلوم الإنسانية والمعرفية أصبح بالإمكان أن يعني التواصل "ربط جهازين لمعالجة المعلومات بعضهما ببعض. أحد الجهازين يعدل البيئة الفيزيائية للآخر. ويكون لهذا الأمر أثر الوصول بالجهاز الثاني إلى إنشاء تمثلات مماثلة لبعض التمثلات الموجودة في الجهاز الأول"⁴. وينتج عن هذا التعريف المشبع بالمناخ المعرفي أن التواصل عملية ديناميكية يتدخل فيها الفعل الإيجابي للمرسل والمتلقي على السواء.

وإيجابية أطراف التواصل تلتقي حولها كل النظريات التي تفسر عملية التواصل. فنظرية الشفرة ترى في التواصل تشفير وفك رموز الرسائل المتبادلة، على شكل الخطاطة التالية:⁵



³ - Stoetzel (Jean), La psychologie sociale, Flammarion (Champs), Paris 1978, p :216

⁴ - Sperber (Dan) et Wilson (Deurdre), La pertinence : communication et cognition, Minuit, Paris 1989, p :11

⁵ -- Ibid, p :15.

أما النظرية الاستدلالية فترى في عملية التواصل إنتاجا وتأويلا للمؤشرات التي تتم بها عملية التواصل. فهناك فرق بين الجملة والملفوظ يتجلى من خلال المثال التالي:
فسواء تعلق الأمر بنظرية الشفرة أو بالنظرية الاستدلالية فإن أطراف التواصل لا يقل بعضها عن بعض في بذل المجهود اللازم لتحقيق عملية التواصل. ومن المفيد بيداغوجيا الإشارة إلى أن هذه الفعالية تتناسب مع التوجه العام الذي يخصص للتمليذ دورا إيجابيا في العملية التعليمية – التعلمية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تدريس الأمازيغية يعني من الناحية البيداغوجية انفتاح المدرسة على المجتمع المغربي وكفها عن تحطيمه وتقتيل عناصره اللسانية والثقافية. ويعني هذا التدريس من الناحية الديدانكتيكية انخراط المدرسة المغربية في تجربة فريدة، تتعلق بتطوير مكتسبات التلميذ السابقة عن المدرسة. والكف عن اعتباره صفحة بيضاء عند التحاقه بها !.

1-3- الوظيفة التواصلية Taseghent n umyawad

تلعب اللغة دورا أساسيا في عملية التواصل، وذلك من خلال وظائفها المتعددة. وتمثل الخطاطة التالية مختلف وظائف اللغة⁶:

| المتكلم/الكاتب | القناة | الرسالة | المستمع/القارئ |
|----------------|--------|---------|----------------|
| حول الموضوع | | | |

الوظائف: التعبيرية الفاتيكية الإخبارية الجمالية التوجيهية

حيث تتجه كل وظيفة نحو التركيز على جانب من جوانب التواصل أكثر من التركيز على الجوانب الأخرى. فالوظيفة التعبيرية تتجه إلى التعبير عن مشاعر المرسل أو المنجز لفاعل الكلام. وأما الوظيفة الإخبارية فتتجه إلى التركيز على الموضوع الذي يشكل أساس التواصل. في حين أن التركيز على الرسالة يعني إعطاء الأسبقية لجمالية الإرسالية. وينخرط تدريس اللغة الأم في سياق التواصل عبر مختلف أساليب تشكل وتجسيد الوظيفة التواصلية للغة، والتي يمكن تصنيفها إلى الثنائيات التالية:

الإنصات والكلام: فعبر عمليتي إرسال الخطابات واستقبالها يتم التواصل. وإذا كانت العادة لا تتمن الإنصات فمن المهم الإشارة إلى أن الإنصات من العمليات الأساسية التي تمكن من إنتاج كلام مفهوم ومدعم.

القراءة والكتابة: وهي نفس العملية السابقة مع فارق أنها الآن ضرورة تتم عبر تحويل اللغة إلى تقنيات الكتابة. وليست القراءة والكتابة هي فقط عملية فك رموز الحروف بل هي أساسا عملية فهم وتمثل واستيعاب وبالخصوص عملية تقويم.

الفهم والإنتاج: وتتعلق بنفس العملية مع نوع من التعميم الذي يمكن أن يشمل الثنائيتين السابقتين. فالفهم يتعلق بالإرسالية الكتابية وبالإرسالية الشفوية على السواء.

⁶ - Leech (G), Semantics : the study of meaning, Penguin Books, London, 1990, p :42.

وتتدخل العديد من العوامل المشوشة لتحريف المعنى أثناء عملية التواصل ناهيك عن تمايز تمثيلات المرسل والمتلقي بصدد نفس المرجع.

2-3- الكفاءة التواصلية: *Tawzut n umyawad*

المقاربة التواصلية تنظر إلى الكفاءة والإنجاز في مقابل التركيز السابق على النحوية والمقبولية. وبذلك يمكن القول بأن الهدف العام المنشود هو الكفاءة التواصلية، التي تأخذ بعين الاعتبار البعد اللغوي والفوق لغوي *extra-linguistique*، الذي يتشكل من معرفة فعل *un savoir faire* لغوية وغير لغوية، أي "معرفة عملية *pratique* (إذن ليست بالضرورة بارزة *explicite*) للشفرة وللقواعد النفسية والوسوسولوجية والثقافية التي تأخذ استعمالها الحقيقي في الموقف"⁷. وتعرف موارد كفاءة التواصل باعتبارها⁸:

- 1- **كفاءة لغوية**، فالأساس الذي يتم به التواصل هو اللغة المفصلة وغير المفصلة.
- 2- **مكون خطابي**، ويقصد به مجموع المعارف التي تنتظم في خطابات متنوعة تبعاً لوضعية التواصل.
- 3- **مكون مرجعي** *référentielle*، وهي المعارف التي تتعلق بمجالات التجربة السوسيوثقافية والفيزيقية وبأشياء العالم والعلاقات بينها.
- 4- **مكون سوسيوثقافي**، ويتعلق الأمر بالقواعد الاجتماعية، والأعراف والتقاليد ومختلف المعايير التي يتم على أساسها التفاعل بين الناس.

3-3- أفعال الكلام *tiggiwin n wawal*

لقد بين أوستين منذ 1970 أن إصدار الملفوظات يعي نوعاً من الالتزام بفعل شيء ما. ذلك أن هناك علاقة وطيدة بين القول وما يمكن أن يستلزمه ذلك من فعل. وفي سنة 1972 قدم سيرل تصنيفاً لأفعال الكلام في خمس أنماط من الأفعال وهي:⁹

1- النمط التوكيدي: *assertive*

ويتعلق الأمر بمجموع الأقاويل القابلة للصدق أو الكذب أو الأخبار أو وصف حالات الوقائع. وذلك من قبيل: *Nnix awn is la yekkat*

2- النمط الأمرى: *directive*

ويتضمن كل ما يهم الأوامر والنواهي والتساؤل والإذن والطلبات. إنها تتعلق بمحاولات المتكلم "أن يجعل المتلقي يفعل شيئاً ما". والأمر يتدرج عبر مستويات من الإيحاء إلى الدعوة إلى فعل شيء ما إلى الإلحاح على فعله. ومن ذلك مثلاً: *Nebdx digun ad teffeghem*

3- النمط الوعودى: *Commissive*

ويتعلق الأمر بالأقاويل التي تتعلق بالوعود وتقديم الاقتراحات والمستلزمات التي تفرض على القائل أن يحقق فعلاً في المستقبل. وذلك كما في المثال التالي:

Usix xf ixf inu ad k ucx iqaridn nna tetterd.

⁷ - Galisson (Robert), D'hier à aujourd'hui la didactique des langues étrangères, CLE international, Paris, 1980, p:14.

⁸ Moirand (Sophie), Enseigner à communiquer, Hachette, Paris, 1982.

⁹ Searle (John R.), Expression and meaning, study in the theory of speech acts, Cambridge University Press, Cambridge, 1992, pp:12-27.

5- النمط التعبيري Expressive:

وفيه كل ما يهيم الحالة الشعورية للمتكلم كالتنهائي والاعتذارات والتشكرات والتحيات وكل ما يعبر عن حالة سيكولوجية وبالخصوص العاطفية منها. ومثال ذلك:

Ssurf, ukl ak adar.

Tanemmirt, allig iy tucid adlis nna.

6- النمط الإعلاني: déclaration

وهو الذي يهيم "التناسب بين المحتوى القضوي والواقع" كالإعلانات والإدانات والتسميات وكل ما يساهم في تحويل محتوى الفعل إلى أمر واقع. ومثاله:

Ikker imenghi.

Innerzm zeg tewuri nnes.

4- التحليل التواصلي للدرس اللغوي

يمكن تحليل مكونات الدرس اللغوي من الناحية التواصلية إلى ما يلي:

4-1- الكفاءة التواصلية:

إن التدريس في أفق تواصلي يتوزع عبر المجالات التالية:

الكفاءة اللغوية: وهي إنتاج خطاب قابل لأن تفك رموزه عبر الاستعمال العادي (المسمى نحويًا) للشفرة والقواعد اللغوية.

الكفاءة الخطابية: أي تلك التي تتعلق بالقدرة على إنتاج خطابات قابلة لأن تشكل أساسًا للتواصل البناء. ومعلوم أن الأصل الاشتقاقي للخطاب يتضمن القول والمنطق الذي يتحكم في هذا القول. وفي هذا الإطار يمكن التطرق لأنواع النصوص والخطابات.

-الخطاب الإخباري،

الخطاب الوصفي،

الخطاب الحجاجي،

الخطاب السردي،

الكفاءة المرجعية: ويتعلق الأمر بضبط المعطيات السوسيوثقافية التي تكون المرجعية الملموسة أو المجردة للخطاب اللغوي.

4-2- مكونات الإرسالية التواصلية:

يتعلق الأمر هنا بمعرفة الأسس اللغوية التي يبنى عليها تدريس الأمازيغية، وسنتعرض لذلك من خلال النقاط التالية:

4-2-1- الكلمة، المعنى والدلالة

تستمد الكلمات دلالاتها من المرجعيات التي تقابلها في الواقع الفيزيقي أو الفكري. ولكن هذه المرجعية وحدها لا تكفي، "إذ أن تعريف الدلالة الذي يكتفي بربط العلاقة بين الكلمة والمرجعية le référent تهمل البعد الأساسي للغة ألا وهو التواصل"¹⁰. وقد شغلت الدلالة باللسانيين وبالخصوص من اهتم منهم بالسيمانتكا.

ويقدم ليتش سبع أنماط للدلالة، يبينها الجدول التالي¹¹:

¹⁰ - Oléron (P), L'enfant et l'acquisition du langage, P.U.F, Paris, 1979, p :103.

¹¹ - Leech (Geoffrey), Semantics : the study of meaning, Op.Cit, p :23

| المحتوى المنطقي أو المعرفي أو التقريري | 1- الدلالة المفهومية أو المعنى |
|--|--|
| Argaz ag ga ! | 2-الدلالة الإيحائية ما هو مبلغ بما يحيل على اللغة |
| Tamazight taqurart Tawuri, adghar, | 3-الدلالة الاجتماعية ما هو مبلغ بالظروف الاجتماعية لاستعمال اللغة |
| Wawaw, Ayay | 4-الدلالة العاطفية ما هو مبلغ من أحاسيس ومواقف المتكلم/الكاتب |
| يشس المخ | 5-الدلالة الانعكاسية ما هو مبلغ عبر الارتباط بمعنى آخر لنفس التعبير. |
| أيا غمبوب ا | 6-الدلالة التراتبية ما هو مبلغ بواسطة الارتباط بالكلمات التي تتجه إلى الحدوث في بيئة كلمة أخرى. |
| Asekin 1° ay rix netta taghdemt. Taghdemt, nttat asekin amezwaru ay rix. | 7- الدلالة التيماتيكية ما هو مبلغ بالطريقة التي تكون فيها الرسالة منظمة بشكل ترتيبي أو تركيزي |

- 4-2-2- Amyawad d inawn n tewinas** التواصل وأنماط الجمل
- الجمل التساؤلية: وهي التي يطلب فيها المتكلم من المخاطب أن يقوم بفعل ما أو يمنع قيام فعل ما.
- الجمل الأمرية: وهي التي يطلب فيها من المخاطب أن يقوم بفعل ما أو يمنع قيام فعل ما.
Wwet xf ix f nnek !
Ad ur ttamen g wenna yessukufen.
- الجمل الأخبارية: وهي جمل تتضمن معطيات أو تنقل أخبارا.
Yessufegh uselmad yun udlis xf Temazight.
- الجمل التعجبية: وهي التي تتضمن تعبيراً عن موقف المتكلم من أحاسيسه أو من العامل الخارجي.

- Ighuda way !

- 4-2-3- Amyawad d inawn n tinqqas** التواصل وأنماط الخطاب
- الخطاب الإخباري: وهو الخطاب الذي تؤسسه معطيات الواقع الفعلي أو المتخيل
- الخطاب الوصفي: وهو الخطاب الذي يصف مقطعا أو واقعا فعليا أو متخيلا.
- الخطاب الحجاجي: وهو الخطاب الذي يؤسس لأطروحة أو يفندها بالدلائل والحجج.
ويقصد بالخطاب السردى كل الأقوال التي تتضمن متابعة للأحداث التي تتابع في الزمن.

5- حول التمارين في المقاربة التواصلية

تعتبر التمارين ilughema من الوسائل الناجعة للتدريب على المكتسبات الجديدة وللتأكد من حصول التعلم، كما أنها من أكثر أساليب تقويم المكتسبات اللغوية حيوية في المقاربة التواصلية. ويمكن التمييز - إجرائيا - نظرا لتدرج الكفاءة التواصلية، بين تمارين ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: ويهم اكتساب التعابير والسياق التواصلية الذي تتم فيه. ويتم التركيز هنا على المعجم والتراكيب والتعابير المسكوكة ومستويات الدلالة والاستعارة. وتختلف هذه المهارات بين التركيز على مهارة الشفوي ومهارة الكتابة.

المستوى الثاني: ويهم تدقيق المستوى الأول وفهم آليات اشتغال الميكانيزمات التواصلية من خلال التركيز على تفسير المرجعيات الثقافية وتفصيلها.

المستوى الثالث: ويهم التمييز بين مختلف أنواع الخطابات: الوصفية والإخبارية والسردية والحجاجية. ويدخل في هذا الإطار فهم ميكانيزمات تشكل كل نوع من أنواع هذه الخطابات. ويمكن لهذه التمارين أن تتم بواسطة أحد الأساليب التالية أو ما يدخل في عدادها:

Urar n wawal –jeu de langage

Urar n tewaliwin-jeux sur les mots.

وهي الألعاب التي تجعل من اللغة معيارا وقاعدة للعب. ويتم ذلك من خلال المتضادات أو المترادفات أو مختلف المحسنات اللفظية. وتتيح هذه التمارين في نفس الوقت تدريب التلميذ على اكتساب المهارات المستهدفة من جهة وتمكن عن الوقوف على مدى حصول الاستيعاب والاكتساب من جهة أخرى.

خاتمة

يتضح من خلال ما تقدم أن المقاربة التواصلية تتيح للأمازيغية أن تتطور في محيطها. وذلك في إطار استراتيجية بيداغوجية تنطلق من مكتسبات التلميذ اللغوية وتدرجها في سياق يسهل التعلم والاكتساب. وبذلك يكون المرمى الذي ترمي إليه تدریس الأمازيغية هو تمكين المغاربة من أداة تمكنهم من أن يكونوا فاعلين في مجتمعهم وأن يكونوا أسياد أنفسهم في جو من الديمقراطية واحترام كرامة الإنسان.

وإذا كنا قد ميزنا سابقا بين القصد الإخباري والقصد التواصلية، فإننا نتوخى من هذه المداخلة على صعيد القصد الإخباري أن نبين الإمكانيات التواصلية والثقافية والمعرفية التي يتيحها تدریس الأمازيغية وكيفية الوصول إلى هذه الإمكانيات. ولكننا على صعيد القصد التواصلية نتوخى القول بأن التعنت في مناهضة الأمازيغية في عقر دارها جريمة في حق الإنسانية. وأن المغاربة الأحرار لا يمكن أن يقبلوا بوقوع هذه الجريمة في زمن الديمقراطية وحقوق الإنسان.